سلسلة تفريغات شبكة بينونة

أصول النجاة

الشيخ د. هشام بن خليل الطوسي

قام به فريق التفريغ في شبكة بينونة للعلوم الشرعية

@BaynootnanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم

يسر شبكة بينونة للعلوم الشرعية أن تقدم لكم تفريغًا لمحاضرة

بعنوان

أصول النجاة

للشيخ

د. هشام بن خليل الحوسني

-حفظه الله تعالى -

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به الجميع

حقوق الطبع محفوظة لشبكة بينونة للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبيَّنا محمدًا عبد الله ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

ثم أما بعد.

فبدايةً أودُّ أن أشكر دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري في دبي على تنظيمها لمثل هذه المحاضرات والدورات العلمية النافعة، التي نسأل الله -عزَّ وَجَلَّ- أن يجعلها في موازين حسناتهم، وأن يُبارك لنا في هذه الدولة الطيبة التي لا تفتأ إلا وتأتي لنا بهذه الخيرات، وبهذه الثمرات اليانعة، أسأل الله -عزَّ وَجَلَّ- أن يجعلها في موازين حسنات ولاة أمورنا، وأن يحفظ بلادنا من كل سوءٍ ومكروه.

ثم نقول: أخرج الإمام مسلمٌ -رَحِمَهُ الله تَعَالَى- في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قال: قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّم-: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ؛ فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ»(١).

يتبيَّن لنا من حديث النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- حرصه الشديد -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- على إيصال الخير لأمته، وإنذارهم وتحذيرهم مما فيه شرٌّ وبلاءٌ على هذه الأمة.

وقد أخرج الإمام البخاري -رَحِمَهُ الله تَعَالَى- في صحيحه: عن أبي موسى الأشعري -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عنه قال: قال نبيُّنا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا، فَقَالَ: يَا قَوْمِ، إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ، فَالنَّجَاءَ النَّجَاءَ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَدْلَجُوا، فَانْطَلَقُوا عَلَى مَهْلِهِمْ، فَنَجَوْا، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ، فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ،

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٦ / ١٨) برقم: (١٨٤٤)

فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ، فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي، فَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي، وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ»[(١)].

يُحذِّر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- هنا من خطورة مخالفة هديه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، ومن أنَّ أمور النجاة لا بُدَّ فيها للمسلم أن يبحث عنها، ويسلك سبيلها، ونبيُّنا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- قد أكثر من هذا الأمر وبيَّنه لأصحابه أيَّما بيان.

وجاء هذا الأمر مؤكدًا عليه كذلك في كتاب ربِّنا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-:

فقد قال -عزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾[فصلت:١٨].

وقال -عزَّ وَجَلَّ-: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ * وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾[المعارج: ١١-١٤].

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ١٠١) برقم: (٦٤٨٢) ومسلم في "صحيحه" (٧ / ٦٣) برقم: (٢٢٨٣)

وقال -عزَّ وَجَلَّ-: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾[الأنبياء:٩].

وقال -عزَّ وَجَلَّ-: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[يونس:١٠٣].

فالنجاة لا يسع المسلم إلا أن يطلبها، وأن يسلك سبيلها، ويعرِف بأي أسبابها يأخذ، وكيف ينجو وكيف يُخلِّص نفسه من عذاب يومٍ أليم.

هذا الأمر يدلُّنا ويحثُّنا ويؤكد لنا معرفة أصول النجاة وأسبابها، ولكن قد يتبادر إلى أذهان كل واحدٍ منا: هل سأل الصحابة -رضوان الله عليهم- هذا السؤال للنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، فهم قد كانوا أسبق منا بالخير، وأحرص منا على الخير، فهل بادروا بالسؤال عن هذا؟ نقول: نعم، وهذا هو ما سنتناوله بإذن الله تعالى في هذه المحاضرة.

فعن عقبة بن عامرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنه سأل النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- فَقَالَ: "يَا رَسُولَ اللهِ، مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-:

«أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ»[1] والحديث أخرجه الإمام أحمد والترمذي، وقال: هذا حديثٌ حسَن، وحسَّنه الشيخ الألباني -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-.

فالنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- في هذا الحديث يُبيِّن لنا أصول النجاة، وهي أمورٍ ثلاثة بعباراتٍ موجزةٍ نافعة: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ» مَن تمسَّك بهذه الأصول وعرَفها وتعلَّمها ينجو بإذن الله -عزَّ وَجَلَّ- من فتن الدنيا وفتنة عذاب يومٍ أليم.

السبب الأول الذي بيَّنه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- في حديثه: قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ».

يحثُّنا النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- في هذا الحديث العظيم على أدبٍ وخُلقٍ عظيمٍ يجب علينا أن نتحلَّ به وهو حفظ اللسان، يقول ربُّنا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[ق:١٨]، فإذا كان الملَك

(١) أخرجه الترمذي في "جامعه" (٤ / ٢٠٨) برقم: (٢٤٠٦)

الموكَّل بكتابة الحسنات والسيئات رقيبٌ عتيدٌ حاضرٌ متهيءٌ، يُسجِّل علينا كل لفظٍ:

- إن كان خيرًا فخير.
- وإن كان شرًّا فشر.

أفلا يستدعي هذا الأمر منا أن نحثَّ أنفسنا ونُلزمها، ونُلزِم ألسنتنا بما يُرضي، ونُلزمها ولا نتكلم إلا بما يُرضي ربنا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-؟!

يقول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- كما جاء في حديث معاذٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- بعد أن سأله عن شرائع الإسلام، وبيَّن له النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- رأس الأمر وعموده وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ ثم قال: «أَفَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ فَقَالَ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللهَّ، قَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا وأَمْسِك عَلَيْكَ هَذَا بِلِسَانِ نِفْسِهِ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهَّ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ: وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ -أو قال: على وجوههم- إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»[1].

(١) أخرجه الترمذي في "جامعه" (٤ /٣٠٨) برقم: (٢٦١٦)

وبيَّن -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- في حديثٍ آخر فقال: «أَكثرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ: الفَمُ وَالفَرْجُ»[1] .

فالنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- يُبيِّن لنا في هذا الحديث خطورة اللسان، وكما قيل: (كم من حرفٍ قاد إلى حتف، وكم من لسانٍ أهلك إنسان)؛ فالإنسان يحرص على حفظ لسانه، كما قال:

اِحفَظ لِسانَكَ أَيُّها لا يَلدَغَنَّكَ إِنَّهُ ثُعبانُ

فالإنسان لا بد أن يحرص على ما يتكلم به، والرجل لا يُسمى ولا يُطلق عليه رجل؛ إلا لأنه يضبِط ما يخرج من فمه، فالكلمة:

- إن خرجت من فمك ملَكَتك.
- وإن كانت في فمك كنت أنت المالك لها.

فالإنسان يحرص على حفظ لسانه كما بيَّنه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- في غير ما حديث.

---

(١) أخرجه الترمذي في "جامعه" (٣ /٤٣١) برقم: (٢٠٠٤)

قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ تَقُولُ: اتَقِ اللهَ فِينَا، فَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا، فَإِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا»[١].

وهذا الأمر أكَّده النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- وبيَّنه في حديثٍ آخر فقال: «لا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ»[٢].

فانظر يا عبد الله إلى أثر اللسان، وكيف أنه يؤثر في إيمان المرء بإنقاصه أو زيادته، والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- قد بيَّنه ووضَّح هذا في أكثر من حديث، فقال: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفًا»[٣] أسأل الله -عزَّ وَجَلَّ- أن يُنجينا ويُعافينا من آفات اللسان وبوائقه.

---

(١) أخرجه الترمذي في "جامعه" (٤ / ٢٠٨) برقم: (٢٤٠٧)

(٢) أخرجه الحاكم في "مستدركه" (١ / ١١) برقم: (٢٥)

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ /١٠١) برقم: (٦٤٧٨)

النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- كما ذكرت لكم حثَّ وبيَّن هذا في أكثر من حديث، وكذلك صحابته -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- حذَّروا وبيَّنوا:

فهذا أبو بكر الصديق -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- يقول: "يُخرج لسانه ويقول: هذا الذي أوردني شرَّ الموارد".

وقال ابن مسعودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: "والله الذي لا إله غيره ما من شيءٍ أحوج إلى طول سجنٍ من لسان".

وقال عطاء بن أبي رباحٍ -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-: "أما يستحي أحدكم إذا نُشرت صحيفته التي أملاها صدر نهاره أن يكون أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه"، يُعاتب من كان شغله الشاغل، وكلامه بلا فائدة، فكيف إن كان فيما حرَّمه الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-؟!

هذه الأمور أكَّدها سلفنا الصالح وبيَّنوها في كل حال، ولكن كما تعلمون إذا وقعت الفتن، وادلهمت الأمور والمحن، صار لزامًا على كل إنسانٍ أن يحفظ لسانه، كما يقول ابن عباسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: "إنما الفتنة باللسان وليست باليد".

فكثيرٌ من الناس يقول: أنا لم يكن لي شأنٌ في مثل هذه الأمور؛ في هذه الفتن، في سفك الدماء، في إزهاق الأرواح، في قتل الأبرياء، في كذا وفي كذا، نقول: هل تكلمت؟ هل راقبت لسانك فيما قلت أو سكت عنه؟

اسمع إلى ما يقوله عبد الله بن مسعودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، يقول: "خير الناس في الفتنة أهل شاةٍ سود يرعين في شعف الجبال ومواقع القطر، وشرِّ الناس فيها كل راكضٍ موضِع، وكل خطيبٍ مسقع".

يُبيِّن ابن مسعودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- هذا الصحابي الجليل الذي عُرِف بفقهه وسعة علمه -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، يُبيِّن مَن هو خير الناس في الفتن، ومن هو شرُّهم في الفتن، فيقول: "وشرُّ الناس فيها كل راكضٍ موضِع، وكل خطيبٍ مسقع".

يُحذِّر فيها مما يفعله بعض الناس -هداهم الله- في زماننا، إذا حصلت الفتن صعد على المنابر، وصعد على المنصات، وبدأ يتكلَّم ويُكفِّر هذا، ويتكلَّم في الحاكم الفلاني، ويتكلَّم في هذه الدولة، ويتكلَّم في نظام كذا، ثم إذا سُفكت الدماء قال: إنما هي كلمة حق.

وهل سلكت في سبيل الحق سبيل أهل النجاة؟

هل سلكت سبيل سلفنا الصالح؟

هل سلكت سبيل المرسلين والأنبياء الذين ما فتئوا إلا ويُذكِّرون وينصحون، ويُعيدون، ويزيدون في هذه الأمور، وأن الفتن لا يصلح فيها شيءٌ من هذه الأمور؟

ومما يفعله بعض الناس من كلامٍ في الفتن، وتحريضٍ للناس عليها، وإذكاءٍ لنارها، فهذه كلها من فعل الخوارج الذين ذمهم نبيُّنا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- وحذَّر منهم ومن أفعالهم.

قال عبد الله بن عُكَيمْ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: "والله لا أُعين على دم خليفةٍ أبدًا بعد عثمان"، فقيل له: يا أبا مبعد أوَ أعنتَ عليه؟ يعني: هل أعنت على قتل عثمان -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-؟ قال: "كنت أعدُّ ذِكر مساويه عونًا على دمه".

تحصل ثورات وانقلابات ومظاهرات، ثم يقول: لا شأن لي بها !!

مَن قال: أنك لا شأن لك بها وأنت الذي كنت تصعد المنابر، وتعلو على المنصات، وتتكلم وتقول ما تقول، ثم إذا وقع الشباب في شرِّ كلامك تبرأت وكأن شيئًا لم يكن؟!

كثيرٌ من هؤلاء الذين حاولوا إغواء الشباب وإضلالهم بما يُموِّهون ويُشوهون به صورة الإسلام الصحيح بأن كذا جهاد، وأن كذا من كلمة الحق ومن نُصرة المظلوم ومن كذا، نقول: ما من مسلمٍ إلا ويتألم ويبكي الدم قبل الدمع مما يحصل لحال المسلمين، فلا تُزايد على حال المسلمين، ولا تفتري على غيرك.

ولكن الشأن هل هُديت إلى سلوك سبيل المسلمين، وهل هُديت إلى سلوك سبيل المرسلين؟ هذا هو الشأن، وإلا ما من مسلمٍ إلا ويتألم أشدَّ الألم مما يقع في بلاد المسلمين من سفكٍ للدماء، وإزهاقٍ لأرواح الأبرياء، ولكن الشأن ماذا بيدك أن تفعل؟ وماذا بقدرتك أن تقوم به؟ أبتحريضك أم بإغوائك للناس؟! ثم إذا وقع ما وقع، وحصل ما حصل تبرأ وكأن شيئًا لم يكن، نسأل الله -عزَّ وَجَلَّ- أن يُعافينا مما نتكلَّم به، ومما هو شرٌّ علينا في دنيانا وفي آخرانا.

روى نُعيم بن حمَّادٍ، عن مسلم بن حامدٍ الخولاني قال: "كان يُقال: من أدركته الفتنة فعليه فيه بذِكرٍ خامل"، وهذا أمرٌ واضحٌ من سلفنا الصالح -رضوان الله عليهم-؛ أي أن تكون ذيلًا في مثل هذه الأمور خيرٌ لك من أن

تكون رأسًا في الشر، فيُحاسبك الله -عزَّ وَجَلَّ- على ما أقدمت عليه، وما فعلت، وما فعلت.

وكما قال بعض السلف -رضوان الله عليهم-: "فكن -يعني في هذه الفتن- كابن اللبون، لا ظهرًا فيُركَب، ولا ضرعٌ فيُحلَب":

- (كن فيها كابن اللبون): وهو ابن الناقة الصغير.
- (لا ظهرًا فيُركَب) لا يصلح للركوب.
- (ولا ضرعٌ فيُحلَب) فيُستفاد منه.

وهذا تأكيدٌ بعد تأكيد، وحثٌّ بعد حثٍّ على ما أكَّده النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- في الحديث في قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ**».

السبب الثاني والأصل الثاني: قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «**وَلِيَسَعْكَ بَيْتُكَ**»؛ أي: تعرَّض لما فيه سببٌ للزوم بيتك، والاشتغال بطاعة الله ومراقبته، وما فيه خيرٌ لك ولأهلك ولعيالك، وكما تعلمون قول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ فَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي بَيْتِهِ وَهُوَ**

مَسْئولٌ عَن رَعِيَّتَهُ»[١] يتكلَّم في شؤون الأمة ويترك بيته من غير نصيحةٍ، ومن غير توجيهٍ، ومن غير بيان.

«خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»[٢]:

- عليك بامرأتك فراعي فيها حقوقها، وأدِّ إليها حقوقها.
- وعليك بأولادك فأنفِق عليهم ما أوجبه الله -عزَّ وَجَلَّ- عليك، وراعي حقوقهم، وأعطي كل ذي حقٍّ حقه.
- وعليك بشؤون نفسك، وشؤون خاصة نفسك فالزم بيتك، ولا تسعَ في الفتن، ولا تطِر إليها كل طيران.

فالنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- قال في حديثٍ، كما حدَّث به أبو موسى الأشعري -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ٥) برقم: (٨٩٣)

(٢) أخرجه أبو داود في "سننه" (٤ / ٤٢٦) برقم: (٤٨٩٩) والترمذي في "جامعه" (٦ / ١٨٨) برقم: (٣٨٩٥)

مِنَ السَّاعِي، فَكَسِّرُوا فِيهَا قِسِيَّكُمْ، وَقَطِّعُوا فِيهَا أَوْتَارَكُمْ، وَاضْرِبُوا سُيُوفَكُمْ بِالْحِجَارَةِ، فَإِنْ دُخِلَ عَلَى أَحَدٍ مِنْكُمْ، فَلْيَكُنْ كَخَيْرِ ابْنَيْ آدَمَ»[١].

قال الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ-: فَمَا تَأْمُرُنَا -إذا حصلت مثل هذه الفتن؟- قَالَ: «كُونُوا أَحْلَاسَ بُيُوتِكُمْ»، والحِلس: هو ما يلي ظهر الدابة من الفُرُش، أي الزموا بيوتكم ولا تسعوا في الفتن، ولا تنجرّوا إليها، ولا تجرُّوا إليها غيركم.

وفي روايةٍ للترمذي قال: «كَسِّرُوا فِيهَا قَسِيَّكُمْ، وَقَطِّعُوا فِيهَا أَوْتَارَكُمْ، وَالزَمُوا فِيهَا أَجْوَافَ بُيُوتِكُمْ، وَكُونُوا كَابْنِ آدَمَ»[٢] وصية نبيُّنا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-.

وهذا الحديث يُذكرني بمقولةٍ شنيعةٍ سمعتها من بعض من يدَّعي الإصلاح، ويدَّعي التوجيه، ويدَّعي التديُّن، إذ إنه يُعلِّق على مثل هذه الأحاديث بقوله: "الزم بيتك، الزم بيتك" كأنه يسخر منها.

نقول: اتقِ الله -عزَّ وَجَلَّ-، فهذا والله خادشٌ في إيمانك، وقادحٌ في دينك، والله إن الاستهزاء بنا أهون من الاستهزاء بدين نبينا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وبسنَّة ربِّنا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٧٦) برقم: (١١٨)

(٢) أخرجه الترمذي في "جامعه" (٤ /٦١) برقم: (٢٢٠٤)

ولكن والله لا تستغربوا أبدًا ممن عاش وقضى عمره بين الكتب الفكرية، والأفكار الحماسية لجماعاتٍ حزبية وغيرها، فلا تستغرِب ولا تستنكف إذا جاء من يقول هذا، ويسخر من حديث النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، إذ كيف يُعظِّم حديث النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- وهو لم يُعايشه، وهو لم يعرفه، وهو لم يرفع به رأسًا.

فتعظيم سنَّة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- الذي افترضه علينا ربُّنا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وقال: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[النجم: ٣-٤] يسخَر من حديث النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-؟! يقول أحدهم: اسمع وأطِع، اسمع وأطِع مستهزئًا، نعوذ بالله من الخذلان، نعوذ بالله من الضياع والخسران.

سنَّة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- كان الصحابة -رضوان الله عليهم- يضربون لها أكباد الإبل للسؤال عن حديثٍ واحد، وتُردُّ من قِبَل هؤلاء الذين يدَّعون التديُّن والإصلاح ثم يقولون: نحن مصلحون، ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ﴾[البقرة:١٢].

فالنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- أمرنا في هذا الحديث فقال: «كُونُوا أَحْلَاسَ بُيُوتِكُمْ»، وقال في روايةٍ أخرى: «الزَمُوا فِيهَا أَجْوَافَ بُيُوتِكُمْ».

وعن عَبْدُ اللهِّ بْنُ عَمْرٍو -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: "بَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللهِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- إِذْ ذَكَرُوا الْفِتْنَةَ أَوْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ" فَقَالَ: «إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ قَدْ مَرَجَتْ عُهُودُهُمْ، وَخَفَّتْ أَمَانَاتُهُمْ وَكَانُوا هَكَذَا»[1] وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، قَالَ عبدالله: "فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: كَيْفَ أَفْعَلُ عِنْدَ ذَلِكَ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ؟

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٩٩٦٢)

انظر إلى الصحابي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- هل حكَّم عاطفته؟ أم انتظر ماذا يقول له النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم؟ المسلم لا يلوي أعناق النصوص ويأخذها إلى حيث أراد، وحيث مالت به عاطفته، بل يقول: سمعنا وأطعنا؛

- فما بيَّنه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- هو والله الخير والفلاح لنا.
- وما حذَّرنا منه فهو الشر والهلاك لنا.

فقال عبد الله بن عمر بن العاص -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: "فَقُلْتُ: كَيْفَ أَفْعَلُ عِنْدَ ذَلِكَ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ؟"، قَالَ «**الْزَمْ بَيْتَكَ، وَامْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَخُذْ مَا تَعْرِفُ، وَدَعْ مَا تُنْكِرُ، وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ خَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ**»، وهذا واضحٌ كما سبق.

وعن أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: قال نبيُّنا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «**سَتَكُونُ فِتَنٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي**

فِيهَا خَيْرٌ مِنْ السَّاعِي، وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ»[1] متفقٌ عليه.

قال الحافظ بن حجر -رَحِمَهُ الله تَعَالَى- شارحًا ومبيِّنًا لهذا الحديث: "فقال في قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «مَنْ يُشْرِفْ لَهَا»؛ أي: تطلَّع لها بأن يتصدَّى ويتعرَّض لها ولا يُعرِض عنها"، وقال: «تَسْتَشْرِفْهُ» أي: تُهلِكه بأن يُشرِف منها على الهلاك".

لذلك كله حذَّر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- أمته من الفتن، وأمر بالتعوُّذ منه فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ، تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ»، وقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- في حديثٍ آخر: «إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنِ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنُ، وَلَمَنْ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهًا»[2].

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١٩٨/٤) برقم: (٣٦٠١) ومسلم في "صحيحه" (٢٢١١/٤) برقم: (٢٨٨٦)
(٢) أخرجه أبو داود في "سننه" (٤ / ١٦٤) برقم: (٤٢٦٣)

هكذا يُبيِّن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- هذا الأصل الثاني وهو: «وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ».

الأصل الثالث والسبب الثالث للنجاة من هذه الفتن: وهو قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ» ابكِ على قدر ما أذنبت، وإلا فتباكى إن لم تكن قادرًا، وتذكَّر ذنبك ومعصيتك، «فَكُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»[1].

وكلنا يعلم حديث النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- إذ قال: «عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ الله، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ الله».

وجاء في حديث معاوية بن حيدة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «ثَلَاثَةٌ لَا تَرَى أَعْيُنُهُمُ النَّارَ: عَيْنٌ حَرَسَتْ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَعَيْنٌ بَكَتْ

(١) أخرجه ابن ماجة في "سننه" (٢ /١٤٢٠) برقم: (٤٢٥١)

مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَعَيْنٌ كَفَّتْ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ»[١] نسأل الله -عزَّ وَجَلَّ- أن يجعلنا منهم.

والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- وعظ صحابته يومًا فقال: «إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، أَطَّتْ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا للهِ، وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللهِ»[٢].

جاء في حديث الترمذي عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- أنه قال: «مَا رَأَيْت مِثْلَ النَّارِ نَامَ هَارِبُهَا، وَلَا مِثْلَ الْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا»[٣].

نبيُّنا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- يُبيِّن لنا في هذه الأحاديث أن المسلم ينبغي عليه أن ينشغل بعيوب نفسه، ويتذكَّر معاصيه، ويُصلِّح من حاله ومن شأنه قبل أن

(١) أخرجه الطبراني في "الكبير" برقم: (١٠٠٣)
(٢) أخرجه الحاكم في "مستدركه" (٢ / ٥١٠) برقم: (٣٩٠٥)
(٣) أخرجه الترمذي في "جامعه" (٤ /٢٩٦) برقم: (٢٦٠١)

يتذكَّر معاصي الحاكم الفلاني والحاكم الفلاني، يجلس أحدهم فيقول: الحاكم الفلاني فعل كذا، والرئيس الفلاني فعل كذا، وما شأنك؟ هل سيُحاسبك الله -عزَّ وَجَلَّ- عن هذه الأمور أم ستُحاسب على ما فعلته، وما عصيت، وما أطعت؟

الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يُبيِّن لنا ويحثُّنا على أن ينظر الإنسان إلى ما أذنب: ﴿بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾[القيامة: ١٤-١٥]، ويقول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «إِنَّ أَحَدُكُمْ لَيَرَى الْقَذَاةَ فِي عَيْنِ أَخِيهِ، وَيَنْسَى الْجِذْعَ فِي عَيْنِهِ»[1]:

- يرى الذنب الصغير في عين أخيه فيُكبِّره.
- «وَيَنْسَى الْجِذْعَ فِي عَيْنِهِ» فيُهوِّن من شأنه، ويُقلِّل من خطره.

(١) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١٣ /٧٤) برقم: (٥٧٦١)

وهذا -والعياذ بالله- من الخذلان، إذ لو اهتم المرء بنفسه، وعمِل بنصيحة نبيِّنه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- في قوله: «وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ» لانشغل بخاصة نفسه، وحذر أشدَّ الحذر من مثل هذه الأمور.

قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- في الحديث الذي رواه الترمذي وصحَّحه الشيخ الألباني، قال: «لا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ» هل رأيت اللبن أيرجع إلى الضرع؟ «لا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ»[1].

وقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- في حديثٍ آخر: «حُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ دَمَعَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ».

سألت عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- أم المؤمنين نبينا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- عن قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ

(١) أخرجه الترمذي في "جامعه" (٣ /٢٢٣) برقم: (١٦٣٣)

رَاجِعُونَ﴾[المؤمنون:٦٠] قالت: "أَهُوَ الرَّجُلُ يَزْنِي وَيَسْرِقُ وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَخَافُ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: «لا، يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ أَوْ يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَتَصَدَّقُ، وَيَخَافُ أَلَّا يُقْبَلَ مِنْهُ»[1].

يقول الحسن البصري -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-: "عمِلوا والله بالطاعات، واجتهدوا فيها، وخافوا أن تُردَّ عليهم، إن المؤمن جمع إحسانًا وخشية، وإن المنافق جمع إساءةً وأمنًا".

هذه هي ثلاثة أصولٍ وأسبابٍ بيَّنها النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- في هذا الحديث العظيم: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ» نحرص عليها أيها الإخوة الكرام، ونُحافظ عليها؛ فمن حافظ عليها، ومن التزم بسنَّة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- فهو مع النبيين، والصدِّقين، والشهداء، وحسُن أولئك رفيقًا.

(١) أخرجه ابن ماجة في "سننه" (٢ /١٤٠٤) برقم: (٤١٩٨)

نسأل الله -عزَّ وَجَلَّ- أن ينفعنا بما سمعنا، وأن يُعلِّمنا ما ينفعنا، وأن يجعل ما قلناه حُجَّة لنا لا علينا، نسأل الله -عزَّ وَجَلَّ- أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يُبارك لنا في ولاة أمورنا، ويحفظهم ويرزقهم البطانة الصالحة، ويحفظ بلادنا هذه من كل شرٍّ ومكروه، ويدفع عنا الفتن والمحن والقلاقل، والفتن، وأن يحفظ بلاد المسلمين من كل شرٍّ ومكروه، وأن يحقِن دماء المسلمين في كل مكان.

اللهم جنِّب إخواننا المستضعفين في كل مكان شرور الفتن، اللهم قِهم وأبعدهم وجنِّبهم هذه الفتن، اللهم اجعل بلادنا وبلادهم آمنةً مطمئنة، سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين، هذا وصلَّ الله وسلَّم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

حسابات شبكة بينونة للعلوم الشرعية

ليصلكم جديد شبكة بينونة، يسعدنا أن نتواصل على المواقع التالية:

① 【 تويتر Twitter 】

https://twitter.com/BaynoonaNet

② 【 تيليجرام Telegram 】

https://telegram.me/baynoonanet

③ 【 فيسبوك Facebook 】

https://m.facebook.com/baynoonanetuae/

④ 【 انستقرام Instagram 】

https://instagram.com/baynoonanet

⑤ 【 واتساب WhatsApp 】

احفظ الرقم التالي في هاتفك

☎ 00971555409191

أرسل كلمة "اشتراك"

تنبيه في حال عدم حفظ الرقم لديك

((لن تتمكن من استقبال الرسائل))

⑥ 【 بلاك بيري BBM 】

http://www.pin.bbm.com/5D6F3191

⑦ 【 يوتيوب Youtube 】

https://www.youtube.com/c/BaynoonanetUAE

⑧ 【 تمبلر Tumblr 】

https://baynoonanet.tumblr.com/

⑨ 【 بلوجر Blogger 】

https://baynoonanet.blogspot.com/

⑩ 【 فليكر Flickr 】

https://www.flickr.com/photos/baynoonanet/

⑪ 【 جوجل بلس Google+ 】

https://plus.google.com/u/0/+BaynoonanetUAE

【 تطبيق الإذاعة
لأجهزة الأيفون

https://appsto.re/sa/gpi5eb.i

لأجهزة الأندرويد

https://goo.gl/nJrA9j

【 لعبة كنوز العلم 】

لأجهزة الأيفون

https://goo.gl/Q8M7A8

لأجهزة الأندرويد

https://goo.gl/vHJbem

【 البريد الإلكتروني 】

info@baynoona.net

【 الموقع الرسمي 】

http://www.baynoona.net/ar/

حقوق الطبع محفوظة

شبكة بينونة للعلوم الشرعية